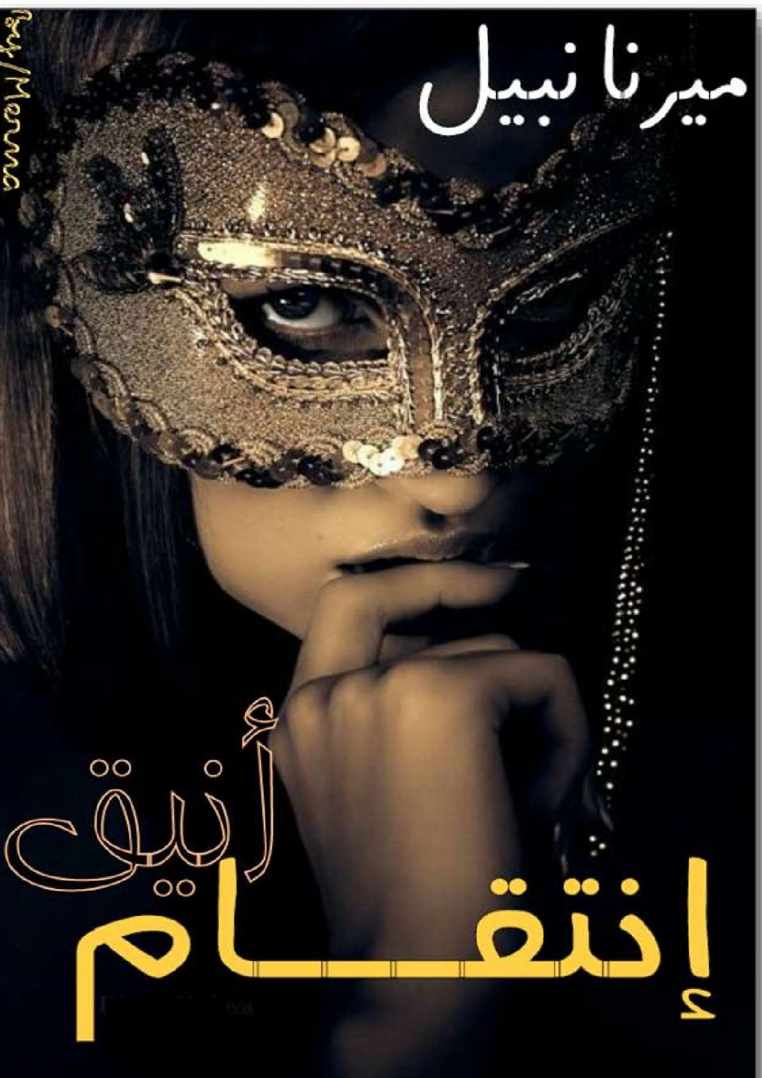

ميرنا نبيل
إنتقام أنيق
Art/Menna

إنتقـــــام أنيـــق

"قصة قصيرة"

بقلم/ ميرنا نبيل

تصميم داخلي وغلاف/ ميرنا نبيل

المقدمة

لكل فعل الطريقة المثلى في تنفيذه؛ فـ للحب تضحية، وللقتل إحترافية، والإنتقام.. أناقة.

قبيل الفجر سادت حالة من الهرج والمرج في أورقة القصر الملكي بفعل الصراخ المدوي القادم من غرفة الملكة "لورين" التي فاجأتها آلالام المخاض قبل دقائق، جميع من في القصر من خدم وحاشية ونبلاء قد استيقظوا على صوت صراخها العالي، وانتاب الجميع حالة من التأهب والأنتظار لميلاد وريث "إنجلترا" الذي سيخلف أبيه المُلك بعد عمر مديد.

وانقسم الخدم ما بين فرَح وحاقد، فـ بالرغم من طيبة الملكة لورين ومعاملتها الحُسنى مع الجميع لم تحصل على الدعم الكامل من القصر سواء من الخدم أو طبقة النبلاء.

كما لم تحصل يومًا على محبة الملكة الأم "مارجريت" ولا ابنها الملك "جورج" والذي بالمصادفة يكون زوجها.

تشعر بالألم منتشر في كل أنحاء جسدها وكأن أحدهم قد غرز سكين بارد في كل أنش منها، مستلقية على فراشها الوثير الناعم ولكنها لا تشعر بنعومته في هاته اللحظة بل تراه كسوط يجلد ظهرها، صدرها يعلو ويهبط بجنون غير قادرة على التنفس بصورة طبيعية أبدًا، والدموع تنهمر من مقلتيها كنهر لا ينضب وحنجرتها تكاد تكون قد جُرجت بفعل الصراخ والتأوه.بينما وصيفاتها يحومن حولها؛ إحداهن ممسكة بيدها تحاول طمأنتها وأخرى تمسح العرق المتصبب على جبينها، والدموع من على وجهها بمنشفة صغيرة نظيفة.
والباقيات ملتفات حول سريرها يتلون دعاء صادق من القلب ليعجل الله بالولادة ويريحها من هذا الوجع الشديد، أما الممرضة الشابة الخاصة بالولادة تحاول إلقاء بعض التعليمات على الملكة لـ تسهل عليها هذه الولادة المتعسرة.

والملكة تارة تستجيب وتارة لا.. فالألم لا يُحتمل

ولا متنفس لها سوى الصراخ!

****

خرجت "لاريسا" من غرفتها بعد ما أن فاقت من نومها بفزع على صوت الصراخ المستمر، وعندما خرجت وجدت حارس الملك الشخصي واقفًا عند باب الغرفة في مناوبة حراسة ليلية:

-روبرت!

أحنى روبرت رأسه باحترام وهو يتمتم:

-سيدتي.

سألته في فضول والنبرة ناعسة:

-ماذا يحدث بالقصر؟ وما سبب هذا الصراخ؟

لم ينظر إلى عينيها وهو يُجيب على سؤالها:

-إن الملكة "لورين" تلد الآن.

الخبر أزال كل أثر للنعاس المتمكن منها، ولكن أخفت شحوب وجهها بمهارة تعلمتها على مدار سنوات، همست بحماس مصطنع:

-إذًا الوريث سيشرفنا بمجيئه الليلة.

وافقها روبرت قائلًا بحبور:

-نأمل أن يكون صبيًا يا سيدتي.

ابتسمت له بموارية قبل أن تتنهد أنفاسها بضيق وهي تدخل إلى الغرفة من جديد

تأملت الجسد الرجولي النائم على السرير الملكي -العريض ذو الأربعة أعمدة- بعمق شديد حتى إنه لم يستقيظ على الصوت الذي يصم الآذان

ابتسمت في تهكم فليلة الأمس كانت صاخبة بينهما، ولقد احتسى الكثير من النبيذ مما أثقل رأسه بالتأكيد.

أقتربت منه بهدوء معاكس للصوت الذي مازال مستمرًا في الصراخ.. حين وصلت إليه وقفت أمامه تتأمل تفاصيله الرجولية بتدقيق وكأنها تراه للمرة الأولى ربما لأنه يثير تعجبها ودهشتها هذه الليلة:

-لأول مرة أرى ملكًا يغط في النوم بينما وريثه قادم خلال دقائق.

حاولت الوصول لسبب مقنع لعدم اكثراث الملك بأمر وريثه منذ أن علم بحمل زوجته الملكة ولكن لا فائدة... فهو طوال الأشهر الماضية كان يتعامل مع تلك الأخيرة بنفس البرود والقسوة المعتادة منه منذ زواجهما قبل ثلاث أعوام مما أثلج قلبها ، فلقد خافت وقتها من هذا الحمل فربما سيعدل الأمور بينهما ولكن حدسها لم يكن بمحله فعلاقتهما قد ازدادت سوءًا وتدهورًا حتى صارت سيرة الملكة المنبوذة على كل لسان في القصر.

وبالرغم من أن كل الأمر يصب في مصلحتها ولكن رغبتها في معرفة سرهما تزداد بداخلها يومًا بعد يوم..

استقلت بجواره على الفراش، بينما يتهادى إلى مسامعها صوت الملكة المتألم بوجع

غامت عيني لاريسا بحزن، فعشق الملوك لا أمان له.. الأمان الوحيد بهذا القصر هو: الوريث.

وها قد تحصل عليه الملكة لورين الليلة مما قد يفسد لها كل المخططات

غمغمت بغيظ شديد وهي تدفن وجهها في الوسادة:

-يا ليتها تنجب فتاة.

****

يدور كالمجنون بين جدران غرفته الأربعة.. لا هذه ليست غرفة بل قفص من حديد عالق به.. غير قادر على الخروج؛ فـ خروجه من هذه الغرفة وخاصة بهذه الحالة خطوة غير محمودة العواقب، لذا يرغم ساقيه بقسوة أن لا تتخطى حدود غرفته ولكن هذا أكثر من قدرة احتماله؛ صراخها يصم أذنيه ويوجع قلبه المتمرغ في شباك هواها.. يرغب في الأقتراب؛ أحتضانها، لثم جبينها بقبلة دافئة ثم همس واعد أن كل شيء سيكون على ما يرام، ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟!

هو يخشى الخروج من أجلها حتى لا يسيء إليها.. يخشى أن ينفضح أمره بين الجميع.. فـ إن نظر أحدهم إلى عينيه الآن سيعلم على الفور أن الأمير "جوهان" غارق لا محالة في عشق زوجة أخيه.

لا يعلم متى غرق في بحور هواها أو كيف سقط صريعًا أمام أمواج عينيها الشديدة الزرقة؟!

لم يكن في القصر حين قرر والده -الملك إدوارد- منذ ثلاثة أعوام تزويج ابنه الأكبر "الأمير جورج" من "لورين" أميرة أسبانيا بسبب المصالح المشتركة بين البلدين.

كان في رحلة صيد مع رفيقه المقرب الدوق "أرثر" فلم يهتم كثيرًا بالخبر حتى عندما سمع معارضة جورج القوية لوالده بشأن هذا القرار ولكنه لم يتعجب حين رضخ أخيه بالنهاية ووافق.

فـ المجنون هو من يقف بوجه الملك إدوارد عندما يريد شيء.

حين اقتربت مراسم الزفاف توجب عليه الحضور فأنهي رحلة الصيد خاصته سريعًا وعاد إلى القصر الذي لم يكن له سيرة سوى جمال أميرة أسبانيا التي آتت بالأمس، والتي سوف تكون أميرتهم في غضون أيام حين يتم الزفاف الكنسي بالكتدرائية بلندن العاصمة.

لم يهتم بما سمعه عن جمالها أو بإلقاء نظرة عليها من باب الفضول على الأقل، فـ الوضع بينه وبين أخيه متوترًا على الدوام حيث أن جوهان هو الأمير المفضل للملك إدوارد، كما هو مفضل ومحبوب من الشعب أيضًا على عكس الأمير جورج الذي يكن له الشعب الضغينة بسبب تعاليه المغرور عليهم، ولكن ما لم يفارق ذهنه حتى هذه اللحظة هو لقاءه بها لأول مرة والذي جاء بالمصادفة البحتة قبل موعد الزفاف بيوم واحد.

كان في حديقة القصر يتدرب على الرماية كعادته منذ أن كان صبيًا وكانت هي موجودة هناك مع وصيفاتها يحاولن قطف بعض الأثمار من الشجر. لم يكن يعلم أنها الزوجة المنتظرة لأخيه وهو يتطلع إليها بافتنان وهي تضحك مع الوصيفات بإستمتاع، بينما شعرها الغجري الطويل يتمايل مع حركة رأسها

لقد فتنته حقًا بمجرد ضحكة واحدة رنانة مازالت نغمتها عالقة بذاكرته!

دون أن يشعر وجد نفسه يدقق النظر بها، ليراها كـ فينوس ألهة الجمال، بل في نظره هي أعلى مرتبة منها؛ عيناها زرقاوان كسماء صافية أو بحر رائق، أنفها صغير نوعًا ومستقيمًا، شفتيها مكتنزتين على نحو يفقد المرء صوابه وبشرتها فاتحة ويقسم أن لها ملمس الأطفال.. أما جسدها كان ممتلىء قليلًا ولكن في عدة أماكن صحيحة أظهرها فستانها البنفسجي بطريقة خلابة..

بإختصار كانت فاتنة.. لم يرِ من النساء من هي أجمل منها.

كانت كالمرأة كما يجب أن تكون

لم يدري بأنه توقف عن إصابه الهدف أمامه مذ دقائق وكأن هدف حياته أصبح هي،ولكنه أفاق من غيمته الوردية ناحيتها على صوت أخيه وهو يهتف ساخرًا:

-هل سحرتك أنت الأخر؟

حاول إخراج صوته طبيعيًا وهو يتسائل:

-من تقصد؟

رفع الأمير جورج قوسه وأدخل به سهمًا وصوب بإتجاه الهدف الذي كان يتدرب عليه جوهان منذ قليل وهمس بجمود قبل أن يطلق السهم بعيدًا:

-عروسي.

وصل السهم إلى منتصف الهدف تمامًا كما وصل الأمر إلى عقل جوهان أن المرأة التي فتنته هي عروسة أخيه، تنحنح جوهان بخفة يداري بها خبية أمله الكبيرة:-إنها جميلة لا يمكنك إنكار هذا.

رمقه جورج بنظرة غامضة ولم يرد على الفور ليعود ويمسك سهمًا جديدًا يصوبه على الهدف ثم همس بإستهزاء واضح:

-لا أنكر.. ولكن حتمًا سأقدره.

الشق الثاني من الجملة لم يرح جوهان وساوره شعورًا غريبًا بأن وراءها مغزى خطير، سأل بهدوء ظاهري:

-ماذا تقصد؟

أجاب جورج بنبرة غامضة لا تخلو من تحذير وهو يضع الهدف نصب عينيه:

-لا تهتم ولا تقحم نفسك بأمور لم تخصك.

فهم جوهان إشارة أخيه المبطنة والتي تعني ابتعاده التام عن كل ما يخص العروس.

وللمرة الثانية أصاب جورج الهدف صحيحًا، ثم نظر لأخيه واقترب منه خطوة وهمس بفحيح أفعى سامة:

-ابقى بعيدًا جوهان.. فأنا لا أحب العبث بأملاكي.

وأخيرًا غادره جورج بعد إلقاءه إبتسامة خادعة ليقف جوهان متسمرًا بمكانه للحظات حتى وصل المعنى التام إلى ذهنه؛ف جورج لم يقصد بأملاكه العروس وحسب، بل التاج الذي يظن انه طامعًا به.

وعلم جوهان وقتها أن ليس أمامه سوى تنفيذ أمر أخيه بالإبتعاد ولكن لم يستطع إلا أن ينظر نظرة أخيرة على هذه الأميرة التي أسرته بجمال ضحكتها

ودعى في سره أن لا تفارقها هذه الضحكة أبدًا.

ولكن لم يشطح بخياله أن تكون هذه المرة الأولى والأخيرة التي سيستمع فيها لضحكتها

فعلى مدى ثلاث سنوات لم يرى خلالها إلا صورتها البائسة؛ النقيض التام من صورتها الأولية القابعة في عقله.. وقلبه.

أفاق من ذكرياته القليلة معها على صوت الخادمات وهن تطلقن صيحات الفرح:

-لقد انجبت الملكة صبيًا.

-لقد آتى وريث إنجلترا.

انتبه وقتها على هدوء صوت صراخها ثم تمتمت شفتاه بتلقائية بكلمات الحمد والشكر.

ولكن قلبه لن يهدأ له بال إلا حين يراها ويطمئن عليها بنفسه، فـ هو لا يثق بعيني أحد غيره.

****

لم تصدق أن لحظتها قد حانت واخرجت جنينها إلى النور بسلام،

كان التعب قد أوهن جسدها، فكل خلية بها تصرخ مطالبةً بالراحة وسحابة

النوم تحوم حولها بقوة ولكن قبل أن تستلسم وتغلق أجفانها همست بضعف:

-بني.. بني.

اقتربت منها احدى وصيفاتها وطمأنتها بفرح:

-لقد أنجبتِ صبيًا مولاتي وهو بصحة تامة.

ابتسمت بقدر ما سمح لها تعبها:

-أريد رؤيته.

أومأت لها الوصيفة وغابت للحظات لتعود ومعها الصبي ملفوفًا وقربت منها، لـ تشتم رائحته بانتعاش وتمتمت بسعادة وعيناها الشبه مغلقتين تحاول إلتهام تفاصيله:

-لقد أنرت حياتي بمجيئك أيها المحارب الصغير.

قد وصل التعب منها مبلغه فسلمت كل أدرعتها للنوم، وفكرة واحدة قد رسخت بعقلها "لقد انجبت الوريث الآن وربما الأمل يكمن به في رجوع والده إليها".

****

بعد فترة طويلة لم تعرف مدتها افترق جفنيها أخيرًا بعد أن أخذت راحتها بالنوم، رمشت عدة مرات قبل أن تستفيق كليًا، وحين فعلت وجدت وجه جوهان يستقبلها في حبور:

-حمدًا لله على سلامتكِ.. لقد أمتِ قلبي رعبًا عليكِ.

وجوده بغرفتها وجملته قد أطارا النعاس عنها بعيدًا، فهتفت باستنكار:

-ماذا تفعل بغرفتي؟

أمسك جوهان يدها ثم همس بنبرة عاطفية:

-لقد أردت الأطمئنان عليكِ، لقد تألمتِ كثيرًا أثناء الولادة.

هزت رأسها برفض تام لكل ما يحدث:

-حسنًا وها أنا أمامك بخير، أرجوك غادر.

تجهم وجهه بشده من لهجتها العصبية الرافضة معه:

-ليس ذنبي بأني عشقتكِ، صدقًا لم يكن بيدي.

أغمضت عينيها لا ترغب برؤيته وهو يعلن لها عن عشقه المتغلغل فيه ربما من قبل زواجها من أخيه والذي ألقاه على مسامعها مرارًا، ولكن مع الأسف قضيته خاسرة معها؛ فالحواجز بينهما كثيرة وأهمها هي نفسها:

-رجاءً غادر جوهان، لا أريد لأحد أن يراك هنا.. أنت لا تريد الإساءة لي؟

توسلته بخفوت ليخضع قلبه الخائن لها ولنبرة صوتها المتلاعبة بخفقاته:

-أخر شيء أريده بهذا العالم هو الإساءة لكِ، لكن ماذا أفعل بقلبي الذي صار ملككِ للأبد؟

تمهل للحظة ليعاود الهمس بصوت مبحوح:

-هذا قدري وأنا راضي به، سأظل باقِ على عشقي لك حتى يواري التراب جسدي.

وقبل أن يغادرها كما طلبت رفع نفسه ليلثم جبينها بقبلة حانية، ومازالت عيناها في حالة انغلاق وتسللت من مقلتيها بعض الدمعات وهي تذكر نفسها بعدد المرات التي تمنت بها سماع هذه الكلمات ولكن من فم زوجها وليس أخيه.

****

-إن الملكة لورين قد وضعت المولود عند الفجر يا مولاي وقد أعطته الملكة الأم اسم "إدوارد" تذكارًا لجده الملك رحمه الله.

مازالت الكلمات التي قالها حارسه الخاص ترن في آذانه.. لقد فعلتها الساقطة المتزوج بها وأنجبت له ولإنجلترا ولي العهد. لقد كان يكرهها سابقًا ولكن الآن ازداد أضعافًا، لقد تزوجها بالأكراه بسبب ضغط والده الشديد عليه وحين وقف أمامه ورفض أوامره لأول مرة في حياته وأعلن له عن عشقه للدوقة "ماريا"، حتى هدده والده بسحب كل ما يملك منه وأهمها العرش الذي يحلم به وينتظر لحظة تتويجه بفارغ الصبر.
كل الأحلام التي بناها على مدى أعوام كانت مقابل زواجه من أميرة أسبانيا.

فـ المصالح هي من تحكم الأمور في الممالك لا العواطف.

وحين رجحت عنده كفة العشق، لم يجد والده بدًا من تهديد ماريا نفسها بالقتل إن لم تهرب من البلاد، ولكن حين علم جورج بذلك الأمر ازداد اصراره على الرفض وقرر الهرب مع ماريًا مخلفًا كل شيء وراءه في سبيل البقاء مع معشوقته.

ولكن آتت الرياح بما لا تشتهي السفن؛ وقد علم والده بالأمر وتدارك الموقف قبل خروجهما من حدود البلاد، ووقف بنفسه أمامهم وأمر جنوده بقتل ماريا أمام ابنه عقابًا له على فعلته الشنعاء.

وبالفعل تم الأمر.. وشاهد إغتيال حبيبته أمام ناظريه بقلب مفطور، ووجع تمكن من كل خلايا الروح بقوة فبكى قلبه قبل عينيه وهو يراقب انتزاع الروح منها بسببه بينما يصرخ بإسمها بكل قوته وضعفه.

وبعد مرور عدة أيام قضاها رثاءًا على ماريا، وافق جورج على الزواج من أميرة أسبانيا بعدما أقسم أن يخص لورين بالإنتقام الكامل على كل ما حدث له.

ووضع مخططاته على هذا الأساس، وخلال الأيام السابقة للعرس الملكي تملقها بالقول والفعل وخدمته وسامته الجذابة وكلامه المعسول حتى سقطت في شرك عشقه.

أوهمها بالنعيم بين ذراعيه، بينما لم يدخر لها سوى الجحيم.

وفي ليلة العرس الأسطوري الذي قام من أجلهما لم يكن يريد التقرب منها، وجعلها زوجته فعليًا.. ولكن حين استشعر رغبتها في قربه لمعت بذهنه فكرة شيطانية سيطرت عليه بلا منازع فوضعها قيد التنفيذ.

وأحال ليلة زواجها المنتظرة إلى ليلة أغتصابها وسلبها عذريتها بأبشع الطرق.. ثم أعلن لها عن عشقه لماريا وأنها لن ترتقى يومًا عنده أعلى من مرتبة الجواري.

ولم يقتصر انتقامه على هذا فقط أو عند هذا الحد، بل كان يتحدث عن علاقاته النسائية الكثيرة بكل تبجح أمامها أحيانًا وعلى الملأ أحيانًا كثر

مما عزز فكرة الملكة المنبوذة عند جميع الساكنين بالقصر.

وحين توفي الملك إدوارد بعد بضعة أشهر، وتسلم جورج الملك من بعده حتى ازداد استبداده لها، وكان أول قراره له كملك هو اتخاذ "لاريسا" كعشيقة رسمية له.

وخلال الثلاث سنوات لم يكن يقربها أبدًا من بعد ليلة زفافهما الحافلة

ولكن تلك المخادعة الماكرة استدرجته ذات ليلة بعد أن ثقل رأسه بالنبيذ وعاشرها ويكون نتيجة هاته الليلة هو الوريث الآن! تفاقم غضبه منها أكثر حين تذكر تلك الليلة التي خدعته بها حيث أوهمته بأنها ماريا مستغلية تخدر عقله بالخمر، وحين استفاق باليوم التالي ليجد نفسه في جناحها حتى تذكر ما حدث بالأمس،وفهم أبعاد لعبتها القذرة؛ لقد تلاعبت عليه حتى تحصل على الحمل وعلى الوريث؛ الذي هوالأرض الثابتة في هذا القصر.

ولكن لن يجعلها تهنأ بهذا الأنتصار المؤقت أبدًا، ربما عقله لم يسعفه الآن للتفكير والتخطيط، ولكنها لن تفلت منه وسيعاقبها بالتأكيد وبطريقة أكثر إذلالاً.

****

"لم يأتي"

قد مر أسبوعًا كاملًا على ولادتها للصبي ولم يأتي، ربما كان من غباءها لتتوهم بأن هذا الصبي قد يلين قلبه المصنوع من حجر الصوان.

لا تعلم لمَ هي باقية عليه بعد كل ما فعله بها؟

أهي بضعة الأيام التي قضتها معه بسعادة قبل زفافهما لازالت تشفع له بالرغم من معرفتها التامة بأنها كانت وهمًا وزيفًا بالنسبة له على الأقل

لقد اغتصبكِ حرفيًا بحق السماء، كيف تطلبين قربه؟

لقد كرهته حقًا تلك الليلة وهو يتعامل معها بكل حيوانية منسفًا كل أحلامها الوردية التي نسجتها عنه، ولكن حين انتهي منها عرفت سبب فعلته

هو يراها المتسببة الوحيدة بقتل ماريا ،لولاه زواجه منها لكانت حية ترزق بينا الآن!

ولكنه يعلم بأن الزواج كان بإتفاق ملك إنجلترا وملك أسبانيا، لم يكن لها يدًا أبدًا بالموضوع ورأيها غير مأخوذ في الحسبان سواء كان بالرفض أو الإيجاب،

لقد كانت مجبرة مثله على الزواج ولكن الفرق بينهما؛ هي تقبلته بحب أما هو قد كرهها قبل أن يراها.

نعم جورج يكرهها بكل ما تحمله الكلمة من معنى، لقد رددها على مسامعها مرارًا، وعيناه تنطقان بها على الدوام.

-أنا لا أكره أحدًا على وجة هذه البسيطة أكثر منكِ.

وضعت يداها على منطقة الأذنين عل ذلك يمنعها من سماع صدى جملته

على مدى عامين.. لقد تحملت ما لا يتحمله بشر من حيث الإهانة المستمرة لها ولشخصها كملكة في المقام الأول، ثم زوجة قد هجر زوجها فراشها على مرأى ومسمع من الجميع.

وفي بداية العام الثالث أقترحت عليها إحدى وصيفاتها خطة استدارجه لجناحها بعد أن رسخت في رأسها فكرة الوريث، وضرورة حصولها عليها

في البداية رفضت وبتنعت شديد.. رافضة تمامًا تكرار مأساة ليلة الزواج حيث قد كرهت فكرة الحميمية بين الزوجين تمامًا.

ولكن مع إزدياد حالها من سيء إلى أسوأ قد بدأت تتقبل الفكرة وبالنهاية قد سعت إليها بقدميها، قفز إلى عقلها مشهدًا أخر حين نجحت خطتها وأكدت الممرضة حملها، لقد جن جنون جورج تمامًا حين آتى إلى جناحها ينوي اهانتها وضربها إن لزم الأمر حتى تجهض هذا الجنين.

ولكن النجاة آتت لها من الملكة الأم التي دافعت عن الحمل بضراوة،

لم يكن الدافع هو حبها للملكة لورين حاشا لله بل الدافع يكمن في ولى العهد الذي يعزز آمن وقوة المملكة.

فـ لم يستطع الملك جورج أمام والدته وقتها إلا الخضوع فـ الحق كله معها

وإنجلترا تحتاج إلى وريث حقًا، حتى لا يستولي جوهان أخيه على العرش من بعده فهو قد بات يقلق من زيادة محبة الشعب له بعد أن بنى لهم مشفي كبيرة ومتخصصة من جيبه الخاص كـ حل منه لمحاربة مرض الطاعون المنتشر في البلاد.

ولكنه لا يريد الوريث من رحمها هي كما أخبرها قبل أن يغادر جناحها للأبد.

مسحت دموعها التي انهمرت دون أن تشعر فعليًا بهم وكأن آلالام روحها طغت على أي شعور آخر.

تقدمت من مهد الصغير وتألقت عيناها بالدفء والحنان وهي تراقب صغيرها نائمًا بهدوء كالملائكة، دنت منه لتنثر قبلاتها الحانية عليه قبل أن تلمع عيناها بلمعة أصرار غريبة وهي تتمتم بشرود:

-لقد تبقت خطوة واحدة أيها الصغير سأفعلها من أجلك عل ذلك يجمعنا بأبيك بحب إلى الأبد.

****

سارت في رواق القصر بكبريائها الفطرية وهي تختال في مشيتها بثوبها الأخضر الزيتوني اللامع، مرتدية تاجها الملكي فوق تسريحة شعرها المصففة بعناية.

كانت الإنحناءة لها باحترام هي كل ما يفعله من يقابلها في طريقها.

ولكن من وراء ظهرها كان يتهامسون فيما بينهما عن سبب وجود الملكة في هذا الرواق المُحرم عليها دخوله.. حيث يوجد به جناح الملك جورج؛ زوجها المبجل

احتاجت كل ذرة شجاعة وتماسك تمتلكها لتكمل طريقها الذي اختارته وقد وعدت به ابنها الصغير.

حين اقتربت من باب الجناح وجدت الحراس الشخصيين للملك، احنوا رؤوسهم لها باحترام قبل أن يتقدم روبرت خطوة ويسألها في أدب:

-بماذا تحبين أن أخدمكِ مولاتي؟

ابتلعت ريقها بخفة ثم هتفت بصوت تمنت أن يخرج ثابتًا:

-أريد مقابلة الملك جورج.. أيمكنك اشعاره بذلك؟

أومأ روبرت بموافقة مع همسة مختصرة:

-بإمكانكِ الأنتظار لدقيقة.

غادرها روبرت ودخل إلى جناح الملك بعد أن طرق الباب بإستئذان وسمع الأمر بالدخول.. ولم يستغرق الأمر نصف الدقيقة حتى وصل إلى مسامعها صوت الملك الزاعق وهو يتحدث بكلمات لم تفهم جميعها مما جعل القلق والخوف يجتاحان جسدها وقلبها.

وبعد لحظات خرج روبرت من الجناح وغمغم بنبرة اعتذار خافتة:

-أنا آسف مولاتي.. الملك رفض رؤيتكِ تمامًا.

راقب روبرت انسحاب الدم من وجه مليكته الجميلة ولكن ما باليد حيلة؛ هو ينقل الأوامر كما طُلبت منه.. وعاد يستطرد:

-ويؤسفني إخباركِ بأنه إن تكرر أمر مجيئكِ إلى هنا، فالملك لن يتهاون في حبسكِ بجناحكِ وأخذ الطفل منكِ ليسلمه لرعاية إحدى المربيات.

ارتسمت أبعاد الصدمة على تفاصيل ملامحها الفاتنة، وهي لا تصدق بأن الأمر قد وصل للتهديد بالحبس وسحب رعاية الطفل منها.. يا لقساوة قلبه اللامتناهية!

حبست دمعاتها بصعوبة وهي تعى أن سفنها كلها قد أحترقت بالكامل ولم يتبقى سوى الحطام كحطام روحها المعطوبة، بهمس مختنق استطاعت الهمس:

-شكرًا روبرت.

رمقها روبرت بآسف ثم عاود الانحناء:

-مولاتي.

أومأت له برأسها قبل أن تقرر الاستدارة وتذهب إلى جناحها تبكى فيه كما تشاء من دون شهود على إذلالها المتكرر، ولكن حظها السيء قد أوقع لاريسا بطريقها ومن نظراتها الشامتة فهمت الأمر؛ فهي بالطبع قد استمعت لجملة روبرت الأخيرة.

تقدمت لاريسا منها وابتسامتها في حالة اتساع وقلبها يرقص من الفرحة.

حين وقفت أمامها احنت لاريسا رأسها بطريقة استهزاء وشفتيها تنطقان بهمس متلاعب:

-إن أولى خطوات العلاج هو الأعتراف بالمرض.

رفعت لورين رأسها في حيرة التقطتها عيني لاريسا فأكلمت بوضوح أكثر:

-عليكِ الأعتراف يا مولاتي بأنكِ قد خسرتِ كل شيء.

بالرغم من جملة لاريسا الواثقة إلا أنها في أعماقها تعلم بـ أن لورين مازالت بحوذتها الورقة الرابحة التي لا تجُيد استخدامها على ما يبدو، أو ربما استخدمتها وخسرت أيضًا.. في كل الحالات وبطريقة أو أخرى الوضع الحالي يقول "لاريسا 10 ولورين صفر"

وكأن نفس الكلمات كانت تتردد في عقل لورين لتدرك أخيرًا خسارتها الحتمية أمام هذه المرأة.

فرفعت عينيها بإنكسار وغمغمت بضعف تراه لاريسا لأول مرة:

-أنتِ تربحين لاريسا.

بعدها أخذت نفسًا عميقًا وأكملت:

-وها قد تخطيت أول خطوة في طريق علاجي.

ثم بكبرياء جريح غادرتها لورين لتذهب إلى جناحها بخطوات متثاقلة وتنخرط هناك على فراشها في بكاء مرير.

أما لاريسا بقت متسمرة في مكانها تتطلع إلى آثر الملكة الغائب، واحساس غريب يكتنفها هل تشعر بالسعادة أو القلق من كلماتها؟

هزت رأسها وكأنها تبعثر أفكارها بعيدًا عنها قبل أن ترسم على وجهها ابتسامة لامعة وتدخل إلى جناح الملك ،ولم يعترض أحدهم على تقدمها فـ لديها أمر ملكي يأمر بدخولها بدون استئذان.

****

وبعد مرور شهرًا على زيارة لورين لجناح الملك ورجوعها من هناك بأمر تهديدي وهي تكاد لا تخرج من جناحها بل تقضي أغلب أوقاتها مع الصغير

وكأنها قد آمنت أخيرًا بأنها لن تهنأ بحياة زوجية طبيعية أبدًا. ظلت تنظر على القمر الساطع من نافذتها بتحسر.. فـ فصول حياتها قد انحصرت بالخريف فقط حيث أذبل كل أوراق جمالها ونضارتها وسقطت في بحر اليأس بالأخير.

لم تعد تبكي أو ترسي حالها وكأنه ما عاد يجدي نفعًا معها بعد الآن.. فهي قد أرتضت بنصيبها وانتهي الأمر.

صوت جلبة بالخارج أثار انتباهها ثم أثار فزعها حين ازدات الأصوات في العلو وصيحات تنطلق من فم الرجال لا تستوعب كل أحرفها.

دب الرعب في أوصالها وعقلها يحاول تخمين الأمر.. ربما هذا اقتحام على القصر.

فـ الأسابيع الماضية كان هناك الكثير من الشغب بين الشعب وثوراتهم التي ازدادت مؤخرًا تطلب عزل الملك جورج عن العرش بسبب فرضه للضرائب الباهظة وتنفيذ الأحكام العرفية في البلاد.

ابتعلت ريقها بجزع وهي تقترب من مهد طفلها لتحتضنه بقوة وكأن تحميه من أي خطر يلوح في الأفق..

كان إدوارد قد استيقظ من حركتها والأصوات المزعجة بالخارج، وبدأ صوته يعلو ببكاء فـ حاولت تهدئته وهدهدته بذراعيها وهي تشعر بوقوع قلبها خوفًا عند قدميها وصوت الجلبة في الخارج مازال مسيطرًا

حتى اخترقت مسامعها جملة واحدة قد سحبت الدم من عروقها

-لقد قُتل الملك جورج.

****

استفاق جوهان من نومه بفزع على الأصوات المرتفعة القادمة من خارج غرفته، وقبل أن يترك فراشه وجد حارسه الشخصي يدخل غرفته ويخبره بجذع:

-لقد قُتل الملك جورج على يد بعض قطاع الطريق وهو عائد من رحلته التفقدية.. وقد اقتحم الشعب القصر بمساعدة الجيش ويطلبون تنصيب فخامتك ملكًا عليهم.

انسابت الكلمات سريعًا من فم الحارس حد الذي جعل نوبة غباء تصيب عقل الأمير جوهان وأوقفته عن العمل، هتف بنبرة مصعقوقة:

-ماذا تقول؟

أجاب الحارس من جديد وهو متفهم لـ حالة الأمير:

-لقد قُتل أخيك يا مولاي.. والملكة مارجريت تطلب حضورك الآن على أقصى وجه من السرعة.

عاد عقله إلى العمل ليدرك حجم المخاطر التي تحيط بالقصر الآن وبالتأكيد الفوضى تضج بكل انحاء المملكة، ارتدى ملابسه الرسمية على عجالة بينما ادراكه لا يسعفه بتقبل الحقيقة التي سمعها منذ لحظات

"لقد قُتل أخيه"

المثير للعجب بأن لا شعورًا من الشفقة أو الحزن قد اجتاحه على مقتل أخيه بل هي فكرة واحدة تدفقت إلى خلايا جسده أشعرته بنوع خبيث من السعادة

"لورين حرة الآن.. حرة لتكون له"

-سريعًا يا مولاي.

حثه الحارس على التعجل لينهي ارتداءه كما اتفق ويخرج من غرفته مع حارسه بخطوات متقافزة.. وخلال دقيقة واحدة كان في يقف مع أفراد عائلته الملكية في بهو القصر يتطلعون إلى الشعب الثائر المحيط للقصر من جميع الجهات

ولسان حالهم جميعًا ينطق بمطلبهم الوحيد:

-نريد الأمير جوهان ملكًا علينا.

لمح جوهان جسد أخيه المسجى أمامه على الأرض غارقًا بالدماء من رأسه حتى أصبع قدمه، عاوده نفس الشعور باللا احساس اتجاه أخيه.. لا ذرة شفقة ولا حزن، فقط وقف يتطلع إليه بتصلب وجمود وكأن وجهه أصبح كقطعة من رخام.

وقبل أن تتحين الفرصة لتفوه أي حرف.. وجد والدته الملكة مارجريت التي تحبس دموعها بعنف وكبرياء قد اقتربت من جسد ابنها الأكبر والأغلى على قلبها لتنزع من فوق رأسه التاج الملكي، ثم استدارت ناحية ابنها الأصغر ووقفت أمامه صامدة بشق الأنفس؛ فقلبها ملكوم على ابنها البكر ولكن واجبها الذي اعتادت تأدية على مدار أعوام يدفعها نحو ذلك رغمًا عنها فهي ملكةً قبل أن تكون أمًا

بالرغم من حشرجة نبرتها إلا إنها خرجت حاسمة:

-انحني.

لم يطل حوار المقل بين الملكة وابنها وخاصة بعد رؤيتها لنظرة تشبه الأعتذار يوجهها له.. فهو لم يطمع يومًا بهذا المنصب

حتى عشقه الجارف لـ"لورين" لم يجعله يفكر لحظة في التخلص من أخيه.

اتبع أمرها وأحنى ساقيه أمامها لتقترب الملكة الأم منه وتضع فوق رأسه التاج الملكية، وتهمس بصوت عالي شابه البكاء:

-ليحيا الملك جوهان.

فور أن خرجت هذه الجملة من شفتيها حتى سمعت صداها كثيرة من فم الشعب الذي صاح بالفرح، وأمسك جوهان بيد والدته وطبع قبلة دافئة على ظهرها.. مع همسة صادقة منه:

-أدامكِ الله لنا يا أماه.

ربتت على مكان يده ودنت منه أكثر وطبعت قبلة مماثلة على جبيبنه العريض

ابتسمت له برزانة وهو يستقيم واقفًا ثم انحنى له الجميع بما فيه والدته نفسها.. ومن نافذة جناحها كانت تقف لورين تراقب كل ما حدث بعينين متسعتين من عدم التصديق..

لقد مات جورج!

مات زوجها الذي لم يتوانى يومًا واحدًا عن كرهها واهاناتها.

لا تعلم ما الشعور المسيطر عليها بهذه اللحظة.. هي لم تبكي كما أيضًا لم تفرح، وكأن حياته من موته لا يهمها بشيء؟

طالما هي والدة الوريث الوحيد لعرش إنجلترا، ولكن ما صدمها حقًا هو سهولة نقل المُلك إلى الابن الأصغر.في حين لم تمر ساعة كاملة على موت الأبن الأكبر

ولكن لمَ التعجب؟ فهذه حياة القصور المليئة بالغرائب، وكل شيء يهون في سبيل مجد انجلترا.

****

"بعد مرور شهرين على مقتل الملك جورج وتنصيب الملك جوهان ملكًا رسميًا على إنجلترا وكل المقاطعات التابعة لها"

كانت تسير لورين في حديقة القصر كعادتها منذ شهرين في محاولة منها لتقبل وضعها الآن ك أرملة الملك المقتول، فـ لقب الأرملة أهون بكثير من الملكة المنبوذة أو الزوجة المهجورة، وخروجها الآن من جناحها والقصر علامة على حريتها وأولى خطواتها في استعادة مكانتها التي داس عليها الجميع بمساعدة الملك جورج.. فـ وضعها قد تحسن الآن خاصة بعد أوامر الملك جوهان بإحترامها ومعاملتها كملكة حقيقية وأم الوريث الشرعي وكم شعرت بالإمتنان من أجل ذلك!

لقد تركت إدوارد الصغير في رعاية وصيفتها "ماري" وبدأت في جولتها الصباحية التي تساعدها كثيرًا في استرداد شخصيتها ونفسها التي كانت عليها قبل أن تتزوج الملك جورج وتكاد تنجح بذلك.

تسمرت في مكانها حين رأت حرس الملك جوهان الشخصيين قريبين منها ف خمنت أن الملك قادم وراءهما، وبالفعل لم تكمل لحظات حتى رآته آتيًا في إتجاهها مرتديًا ثيابه الملكية الرسمية وعلى وجهه ابتسامة رائعة كذلك البريق اللامع بعينيه.. ابتلعت ريقها بتوتر وحديثها الأخير مع الملكة مارجريت يكاد لا يفارق ذاكرتها.. فقد كان الحديث يخصه هو.

حين وصل إليها واقفًا أمامها في إباء.. احنت رأسها له بإحترام:

-مولاي.

-مليكتي.

تبًا له إنه يصر على هذا اللقب.. فكما أخبرها ذات مرة؛ هي ملكت العقل والقلب والفكر والروح.. هو قلبًا وقالبًا ملكًا لها.

-كيف حالكِ الآن؟

سألها في اهتمام وعيناه السودوان تلتهم كل أنش بها بدءًا من شعرها الطويل الذي تركته منسدلاً بنعومة على طول ظهرها، مرورًا بملامح وجهها الفاتنة والتي قد استعادت نضارتها مرة أخري.. مختتمًا بثوبها الأسود البسيط الذي ناقض لون بشرتها العاجي؛ في كل حالاتها فاتنة في عينيه.

أخرجت صوتها طبيعيًا بصعوبة وهي تقرأ حروف الأشتياق المطبوعة على صفحة وجهه الأسمر الجميل المحيا:

-بخير يا مولاي.. كيف حال جلالتك؟

رد بهمس مبحوح من قوة العاطفة التي يكنها لها:

-أنا بأفضل حال حين أراكِ يا مليكتي.

أشاحت لورين بوجهها بعيدًا عنه؛ ربما خجلاً من نظراته الواضحة المعنى..

وبعد لحظات، سألت بهدوء لتستعيد قوتها التي تتبعثر أمامه وعيناها تتجول على ملامحه السمراء الرجولية وعيناه كلون الفحم الشديد السواد وذقنه المشذبة بأناقة:

-كيف أحوال المملكة؟

-بدأت بالتحسن والثورات قد هدأت.

جاوبها فى هدوء وليل عينيه لا يحيد عن أمواج عينيها:

-أرى حديثًا بعينيكِ..

هل هي شفافة إلى هذه الدرجة أم هو من يجيد قراءة عينيها؟

اكتفت بإيماءة صغيرة مع همسة ثابتة:

-لاريسا.

لم يتعجب لذكر الأسم بل كان متوقعًا:

-ماذا بها؟

للحظة واجهت عيناه وهتفت فى تصميم:

-أريد رأسها.

تأملها بتدقيق ورغبة في استكشاف مغزى طلبها، هل عادت لاريسا تضايقها من جديد ولكن هي تلك الأخيرة ليست هنا.. فهو قد سمع بأنها قد تركت القصر بعد وفاة الملك جورج حين وجدت نفسها قد خسرت كل شيء بفقدانها الحامي الوحيد لها

لم يرغب في اكمال تحليلاته، هذه رغبة لورين وحتمًا سينفذها دون نقاش:

-اختفاء بعض المجوهرات من خزانتكِ كافية لإصداري قرار إعدامها غدًا.

توقعت جدالًا وطلب تفسير لا موافقة سريعة مما أثار تعجبها قليلًا، ولكن همست في امتنان شديد:

-شكرًا.

لم يرد عليها على الفور ولكنه استطاع اربكها حين عاود الهمس بنبرة رجولية عميقة:

-لقد جئتُ خصيصًا لأراكِ فأنا سأتغيب عن القصر مدة الأسبوعين...

انتظر للحظة علها أن ترفع رأسها إليه بدلاً من إطراقها ولكن لم تفعل، فأكمل جملته بشوق عاصف ومدمر:

-وأيضًا لأخبركِ بأني سأشتاق لكِ جدًا جدًا جدًا.

كان مع كل لفظة "جدًا" يقترب خطوة ويزداد صوته خفوتًا

حتى تراجعت هي بالأخير للخلف وبالرغم من نبرة صوته المتلاعبة على أوتار قلبها بخبث ومكر تمكنت العصبية منها، فهتفت به دون اهتمام لمركزه وهي تجابه عينيه اللامعة كنجم ساطع في ليلة حالكة السواد:

-لا تتجاوز الحدود معي جوهان.. فأنا أرملة أخيك ولا يصح هذا أبدًا.

لم يهتم بما قالته مثقال ذرة وخاصة وهو يشعر بتأثرها الشديد به في الأونة الأخيرة:

فأجابها منهيًا هذا الحوار بجملة قاطعة سينفذها بكل حذافيرها قبل أن يغادرها:

-يومًا ما يا لورين ستنطقين اسمي وهو ملتهبًا بنيران عشقكِ لي.

ظلت متيبسة في مكانها تتطلع لآثره بتوتر وارتباك واضحين وثمة رعشة غريبة تسري على طول عمودها الفقري.

فزفرت أنفاسها أخيرًا!

لتدرك بأنها كانت محتبسة في حضرته.

****

"بعد مرور أسبوعين"

حين عاد الملك جوهان إلى القصر، كان شوقه إليها قد وصل منتهاه..

استقبلته والدته بترحاب ومعها جمع من النبلاء وأخذوا يتحدثون قليلًا عن أمور البلاد التي بدأت في الهدوء، وقد لبي الملك جوهان أغلب مطالب شعبه وأهمها هو إلغاء الضرائب التي فرضها الملك جورج ظلمًا.

كانت عيناه تجولان في أرجاء المكان علّه يلمح طيفها رغم ثقته الكبيرة بأنها لم تهتم يومًا بسياسة البلاد وشئونها بسبب عزل الملك جورج لها عن كل ممارساتها كملكة.

أقترب منه مستشاره العجوز الخاص طالبًا منه بذوق أن يتحدث معه في أمر خاص جدًا، أعطاه جوهان الأذن وتحدثا الأثنين لمدة لا بأس بها عن هذا الموضوع الدائر سرًا بين أفراد العائلة المالكة.. ثم أنهي جوهان الحديث معه متعللًا بتعبه من السفر ورغبته في الراحة.

سار جوهان برفقة حرسه المرافقين له على الدوام حتى وصل إلى جناحه الملكي فدخل إليه، ووقف الحراس عند الباب.. ثم دلف على الفور إلى حمامه الخاص والمجهز له بعناية فائقة، وهناك تفاجأ بها تنتظره رافعة شعرها الطويل للأعلى على هيئة كعكة مهملة بينما تلف جسدها العاري بمنشفة طويلة، ابتسم لها بوجه مشرق رغم التعب البادي على وجهه، بينما يتقافز قلبه بين أضلعه لمجرد رؤيتها أمامه:

-ما أحلى العودة إلى الديار.

ردت له الإبتسامة وهي تقترب منه لتقبله باشتياق بعد أن همست برقة:

-حمدًا لله على سلامتك أيها الملك.

بعد أن بادلها القبلة بواحدة أقوى منها همس بعبث أمام شفتيها:

-ما أحلى ترحيبكِ بي يا مليكتي.

ضحكت بدلال يهواه فيها قبل أن تداعب أرنبة أنفه بأنفها مع غمزة شقية وهي تزيح عنه ثيابه:

-للترحيب بقية أيها الملك.

ساعدها في إزاله ملابسه وبعدها أزاح منشفتها عنها.. فكلاهما يحتاج إلى حمام دافيء بعبق أنفاسهما يزيل عنهما ألم الفراق الذي دام لأربعة عشر يومًا.

****

بعد ساعات طويلة كانت تتوسد صدره العاري على سريره العريض الذي تشاركاه مرارًا وتكرارًا من قبل، بينما هو يتلاعب بخصلات شعرها الندية قبل أن يهمس لها بتسلية:

-أتعلمين بأنهما يحاولان إقناعي بإتخاذكِ زوجة لي؟

ابتسمت في مكر ثم رفعت وجهها لتقبل ليل عينيه وتهمس بتسلية مماثلة:

-أوه أتعلم كم يحاولان معي للقبول بك كزوج لي؟

ضحك الأثنين بمرح عاليًا قبل أن ترفع لورين نفسها وتجلس على حافة السرير، وتهمس بغير تصديق لجوهان المستلقي يتطلع إليها في عشق لن يموت:

-أكاد لا أصدق أن خطتنا نجحت.

فلتت منها ضحكة صغيرة ثم عاودت القول بتأكيد:

-لقد فعلناها جوهان.

دون أن تدري هطلت دموعها رغمًا عنها فأحاطاها جوهان من خصرها سريعًا لـ تدفن وجهها وتكبت شهقاتها في تجويف عنقه،

-لمَ البكاء الآن مليكتي؟

خرجت همستها متحشرجة من فرط ما تشعر به:

-لا أصدق أن الكابوس قد انتهي وها سنجتمع ثلاثتنا معًا.

توقفت للحظات تلتقط أنفاسها ثم تستطرد:

-أنا وأنت وابننا الذي وعدته أن نجتمع يومًا كأسرة واحدة ولا يجمعنا سوى الحب الأبدي.

شدد على احتضانها بقوة ليهمس لها بصوت آسر لعدة نبضات من قلبها:

-أجل حبيبتي.. سنجتمع كعائلة واحدة ولن نفترق أبدًا.

انسلت من بين أحضانه لتتأمل وجهه الوسيم الذي تعشق :

-أحبك جوهان.

-أعشقكِ لورين.

هتفها في عنف عاطفي قبل أن يقرر بأن وقت الحديث قد انتهي، وحان وقت

الأفعال فإلتقط شفتيها الشهيتين في قبلة ضارية أنستهما كل شيء مر عليهما قبل أن يجتمعا من جديد، ولكن على الطريقة الصحيحة هذه المرة.

****

دخلت عليها وصيفتها "ماري" حاملة لها فستانها الأبيض الرائع والمرصع بالألماس، فـ اليوم سيتم زواجها على الملك جوهان في الكتدرائية بعد عدة ساعات قليلة.. سمعت ماري تهمس لها بنبرة ماكرة:

-إن الملك جوهان يخبركِ بأنه في انتظاركِ فلا تتأخري عليه.

ابتسمت لورين في حب عندما سمعت اسمه.. جوهان؛ الرجل الذي عشقها بكل ذرة في كيانه كما أغرمت به كل خلايا جسدها..

عادت بها ذاكرتها مدة ثلاث سنوات؛ تذكر بأنها لم تراه إلا بعد زفافها وتحديدًا ليلة زواجها، حيث إنه الوحيد الذي شهد عارها بتلك الليلة المشئومة..
أغمضت عينيها بألم حين تذكرت ليلة زفافها الكارثية، لقد كان مارًا بالمصادفة وقتها في رواق الطابق الثاني والذي يكون جناحها في نهايته وقد سمع إلى صوت صراخها وإلى كلمات جورج التي تنضج كراهية وبغضة لا مثيل لهما ثم عقبه هدوء مريب.

تواری في مكانه بينما الألم قد سكن أضعله وهو يتخيل ماذا يحدث لها في هذه اللحظة على يد أخيه المجنون، وبعد عدة دقائق من الأنتظار القاتل وجد أخيه يخرج من الجناح لا يرتدي سوى بنطاله الجلد الضيق فقط وعلى وجهه كل أمارات الغضب والحنق.. رأه وهو يغادر مع حارسيه الشخصين اللذان كانا يحرسان الجناح الملكي الخاص بها، وفكر عابر مر على خاطره؛ لمَ لم يدخلها جناحه؟ هل لهذه الدرجة يمقتها؟!

بقى مترددًا للحظات هل يجازف بالدخول إليها أم لا؟

بعد قليل من التردد حسم أمره ودخل إليها ولم يكن يعلم وقتها بأنه قد دخل في متاهة عشق مع زوجة أخيه.. صعق حين رأها متكومة على الأرض ببقايا ثيابها الداخلية فقط.. وجسدها العاري أمامه مكلل بالكدمات مختلطة بقطرات دماء.

وقف متصلبًا لمرآها وعقله يعقد مقارنة بتلك الفاتنة التي سحرته بضحكتها بهذه الضعيفة التي تئن بوجع، ابتلع ريقه بتوتر.. كيف فعل أخيه هكذا بها؟ ولماذا؟

أجل البحث عن إجابات لأسئلته لوقت لاحق حين سمع أنينها الخافت الممتزج بصوت بكاءها الذي قطع نياط قلبه حزنًا عليها وعلى ما آل إليه حالها.

ذهب بإتجاه الباب ليتأكد من خلو الرواق من المارة ثم أغلقه بالمفتاح تحسبًا لدخول أحد، حمل جسدها الهش بين ذراعيه وهي لم تعترض فقد غابت عن الوعي تمامًا.. ولم تشعر به وهو يبعد عنها بقايا ثيابها ليغمر جسدها العاري في مياة دافئة تساعد في تخفيف آلالامها، وحين انتهي جفف جسدها بعناية ثم أخذ برفق يطيب جراحها وكدماتها في حين قلبه يعتصره الألم كلما وقعت عيناه على أحد جروحها.

حمدًا لله لم يكن بوجهها الكثير فالأغلب كانت بأماكن متفرقة من جسدها

وبعدها ألبسها ثيابًا نظيفة وجدها في الصوان ووضعها على الفراش برقة متناهية ثم دثرها بالغطاء جيدًا.

وظل جالسًا بجوارها على حافة السرير.. يتطلع إليها بتأني، يحاول أكتشاف سر جاذبيتها؛ هو يشعر وكأنها ألقت تعويذة ما عليه

ف هو لا يكاد يصدق نفسه بأنه يراقب لورين النائمة في جناحها بعد زواجها من أخيه ببضع ساعات.وعلى ذكر أخيه وأخرج فمه سيل من اللعنات والشتائم على رأس جورج الذي تجرأ وانتهك آلهته فينوس الجميلة.

هز رأسه برفض وكأن عقله مازال غير مصدقًا بما فعله أخيه.. بالرغم من عدم وجود رابطة المحبة بينهما إلا أن جوهان لم يضع في الحسبان يومًا

أن جورج يمتلك هذا القدر الكبير من النذالة والخسة!

رفع يده كالمسلوب الإرادة وأخذ يداعب خدها برفق شديد، كان ملمسها ناعمًا كالحرير ومعذبًا كالسوط.. فـ أصابع يده تكاد تحترق من مجرد لمسها فماذا سيحدث إن قبلها؟!!

إنك لمجنون وعديم الضمير يا جوهان لتفكر بهذه الطريقة!!

أفق هذه زوجة أخيك.. لن تكن لك يومًا.

عنف نفسه بقسوة وأرغم عقله ليأمر يده بالإبتعاد عنها ومغادرة هذا الجناح دون رجعة.

ولكن قبل تنفيذ الأمر كانت لورين بدأت تستفيق من سباتها وتمتمت بأنين كلمات غير مفهومة المعنى.

لم يعرف ماذا هو بفاعل؟ لم يسعفه عقله على التصرف.. فقلبه الخائن يرغب في الأقتراب.

وقت فتحت عينيها بالكامل انتفضت من مكانها على الفور وشهقة خائفة فلتت منها واستقامة من على السرير وازت إنكماشها على نفسها للخلف

هي لا تعرف من يجالسها ولكن يكفى انه رجل ليثر بداخل كل أنواع الرعب والذعر.. تفهم موقفها تمامًا، وحاول تهدئة ذعرها المبرر:

-لا تخافي.. أنا هنا لمساعدتكِ، لا تقلقي منيّ.

لم يخف رعبها منه لو ذرة ولكن سألت بحذر:

-من أنت؟

ابتسم لوجهها بهدوء يمنحها طمأنينة مؤكد هي في أشد الحاجة إليها:

-أنا الأمير جوهان.

تعرف الأسم جيدًا ولكنها جاهلة بحامله، هتفت بما جال في خاطرها أولًا:

-هل جئت تكمل ما بدأه أخاك؟

بتلقائية تحركت رأسه في رفض قاطع كسيف كلماته:

-كلا.. أنا لست مثل أخي أبدًا بل أنا من سمعت صوت صراخكِ وآتيت لمساعدتكِ وتضميد جروحكِ.

بدأ يتلاشى الذعر من على صفحة وجهها ليحل التفكير مكانه، والعقل يحلل الموقف والكلمات، ف بنظرة واحدة لما ترتديه علمت بأن هناك من ساعدها فأخر شيء علق بذاكرتها هو تمددها على الأرض في حالة شبة عارية.. ولا إراديًا انفجرت ينابيع دموعها ومخيلتها تترأى لها بصور ما حدث لها..

كيف أنتهت أحلامها بكابوس يجثم على صدرها يمنعها من التنفس؟؟ ف عقلها لا يصدق بأن هناك إنتهاك للروح بهذه البشاعة والحيوانية كالتي خاضتها دون أقتراف خطأ أو ذنب.

سمح جوهان لنفسه بالاقتراب وإزالة الدموع بأطراف الأصابع، فتبًا لكل منطق هي تحتاج للحماية والدفء، وهو أكثر من راغب لمنحها ما تريد:

-لا تبكي يا مليكتي.. فدموعكِ هذه أغلى من الألماس.

لم تنفر من لمسته ولكنها أجفلت للحظة ثم عادت تستكين وربما شعرت بشيء من الأمان، فـ فاجئت نفسها قبل أن تفاجأه حين ألقت بنفسها في أحضانه، وبكت بإنهيار قبل أن تهمس بتحشرج:

-لقد ذبحني.. لم أشعر بنفسي رخصية بهذا القدر من قبل، أنا لورين ملكة أسبانيا التي تحني الروؤس لها احترامًا تُهان أنوثتها وكينونتيها بهذه الطريقة الغير الأدمية وعلى يد من؟! زوجها!!! أوة الرحمة من عندك يا آلهي!

كل كلمة، بل كل حرف اخترقت مسامعه كان يشبه طعنة الخنجر السام

تحركت يداه على طول ظهرها، يهدهدها كطفلة صغيرة اكتشفت وجود الشيطان الحقيقي فجأة..

ولكنه يعود ويذكرها بوجود الملائكة حين يشدد من احتضانه واحتواءه لها

وهي تتقبل محاولاته باستسلام عجيب وكأنها فقدت كل أسلحتها في المقاومة

حتى انغلقت أجفانها دون أن تشعر وغفت بين ذراعيه، شعر بثقل رأسها على كتفيه فإبتسم في حنان وشدد من أحتضانها، ولا رغبة له فى إفلاتها أبدًا.

ظل ممسكًأ بها حتى تسربت أشعة الشمس إلى الغرفة فتفاجأ جوهان بذلك فطيلة هذه الساعات كانت له كالثواني الخاطفة.

أمره عقله بالإبتعاد حتى لا يراه أحد وتكون وقتها كارثة حقيقية، وهي ليست بحالة جيدة تجعلها تتحمل معاناة جديدة.

كره ذراعيه التي أخذت تبعدها عن دفء أحضانه برفق حتى جعلها تستلقى على السرير بطريقة مريحة.

أحكم الغطاء حولها.. ملامحها معذبة ولكن هناك لمحة سلام كامنة بداخلها،

لم يستطع منع نفسه عندما دنا منها وطبع قبلة طويلة على جبينها الناعم ثم همس بصوته العميق الذي قد حفظته أذانها من كثرة همساته لها طوال الليل:

-نامي بعمق يا مليكتي.. ولا تخافي من شيء أبدًا، حمايتكِ قد صارت مهمتي الآن.

****

ومن بعد هذا اليوم أخذت الحياة منحنى جديد بينهما؛حيث بدأت لورين باستعادة قوتها وسلامها الداخلي بعد ما فعله الملك جورج بها،

والذي لن تغفره له أبدًا.. بل ستسعى للإنتقام.

وما ساعدها على ذلك هو إبتعاد ذلك الأخير عنها تمامًا بإنشغاله التام بأمور المملكة، وأمور نسائه الكثر اللاتي تبادلن على فراشه.. وكأنها تهتم به أو بما يفعل! فهي قد محته من حياتها ومن قلبها بعد فعلته الحيوانية معها

أما السبب الثاني والذي كان أكثر قوة، بل هو القوة نفسها.. جوهان

الركيزة الأكثر ثباتًا ودعمًا.. من وقف بجوارها واهتم بها كطفلته الصغيرة

نازعًا منها كل ما يخيفها وما ينزع هدوءها منها، ولكن بخفية بعيدة عن أعين الجميع.

ويومًا بعد يوم وشهرًا بعد شهر ازدات علاقتها به وقلبها قد تورط وانتهي الأمر

هي كرهت كل الرجال إلاه، كرهت نظرة كل رجل لها.. ولكنها لم تنفر يومًا من نظرته حتى وإن شابتها الوقاحة أحيانًا.. لم تنفر النظرة كما لم تنفر الهمسة.. ثم اللمسة.. ثم القبلة ثم استسلام كامل بالقلب والروح قبل الجسد.

وظلا الأثنين على هذه الحالة طيلة العامين محافظين على سريتهم التامة... يتقابلان كعاشقي الغرام فى آخر الليل،حين يغفو الجميع فتسيقظ مشاعرهما

وتنسي إنها ملكة كما ينسي هو إنه أمير.. وتبقى هي لورين وهو جوهان هكذا فقط دون أي أن لقاب، حتى حدث ما لم يكن فى الحسبان؛ حين أثمر عشقهما بذرة في رحمها.

مما يعني فضيحة علنية تتوج بخيانة عظمى وحبل المشنقة ينفذ الحكم

على لصوص الغرام.. فـ الملكة حامل والملك قد هجرها منذ عامين يا للمهزلة! ستكون فضيحة إنجلترا على مدى أعوام وأجيال قادمة.. فـ إقترحت لورين الحل؛وهو ايهام الجميع بأن الطفل هو ابن الملك جورج.

وبالرغم من رفض جوهان بالبداية حيث تحكم به خوفه عليها من بطش أخيه أن يطالها ثانية.. وهذا ما لن يتحمله:

-لستُ موافقًا على هذا الحل لورين.. من أين نضمن نجاحها دون أن يسبب لكِ الأذى وأنتِ الآن لست وحدكِ بل تحملين ابني معكِ.

سببه قلقه وخوفه مبرر ولكن عليهما بالمجازفة فقد يربحا في نهاية اللعبة:

-جوهان أعلم بخطورة ما نحن قادمين عليه ولكن نجاحه قد يعني الحياة إلينا، تخيل معي حين تنجح خطتنا سنوهم جورج بأن هذا الطفل هو الوريث القادم فسيحافظ الجميع على صحتي حتى ألد هذا الطفل وأولهما هي الملكة الأم بنفسها.

كان يحاول بألا ينجرف وراء تفكيرها المحق فهتف بغضب:

-وماذا بعد أن تلدي الطفل؟ تخيلي ماذا سيحدث؟ ربما يحاول قتلكِ وسيتزوج لاريسا علنًا ويجعل فى عهدتها رعاية ابننا.. ابننا نحن.

تنهدت بهدوء واقتربت منه لتحيط خصره من الخلف وتسند رأسها على ظهره واحدى كفيها عند الخصر والأخرى تتلاعب عند قلبه الموقع بصك ملكيتها:

-كم أحب خوفكِ عليّ! ولكن لا تدعه يُضيع مننا فرصتنا الذهبية في الحياة بشكل طبيعي.. أعلم بأن جورج لن يتوانى لحظة عن تقطيعي أربًا بعد ولادتي للطفل ولكن ماذا إن سبقناه نحن بخطوة؟

قطب حاجبيه واستدار إليها ليحتل هو خصرها وتصبح في مواجهته:

-ماذا تقصدين؟

لمعت عيناها الزرقاء بلهيب نار حين غمغمت بتلاعب:

-بإمكاننا قتله قبل أن يفعلها هو بنا.

-كيف؟

-إن أخيك الغبي لا يدرك أهمية حب الشعب له حتى يضمن كرسي المملكة.. لذا بإمكاننا استخدام ذلك في صالحنا وندفع الشعب نفسه لأداء هذه المهمة عنا.

هتف جوهان بتعجب:

-تقصدين أن أتملق الشعب وأدفعهم يفكرون بأن بمجرد موت جورج أنا من سأحكمهم.

هزت رأسها بنفى وأجابت بتوضيح:

-حبيبي أنت لست بحاجة لتملقهم فأنت تمتلك قلوبهم بالفعل ولكنك سترمي لهم الطعم فقط.. ستجعلهم يرون الفرق الشاسع بينك وبينه.

بدأ عقل جوهان بتحليل كلماتها ويوازنها بما في الواقع، وأدرك بأنها محقة ولكن هذه الخطة تحتاج للكثير من المجازفة:

-أنا خائف عليكِ... أنا لا أهتم بما قد يحدث لي، لكن حين يتعلق الأمر بكِ عليّ التروي بكل خطوة.

عارضته بالقول مبررة:

-ولكن ليس لدينا الكثير من الوقت للتأني.. هذه فرصة قد لا تتكرر ثانية علينا اقتناصها جوهان فمؤكد بأنك لا تريد أن تظل علاقتنا بالسر هكذا للأبد.

-مؤكد لا أريد ولكن كيف سأتحمل أن يقضى جورج معكِ ليلة كاملة؟

نطقها بعنف يحمل نيرانًا من الغيرة والقلق.. تفهمته لورين كعادتها فعادت تطمئنه:

-لا تقلق جوهان.. أنا لست ضعيفة بإمكاني فعلها، أنا قوية الآن.. قوية بك، ثم إنك لا تريد حرماني من لحظة إنتقامي التي أحلم بها منذ عامين.

رغمًا عنها فلتت بعض دمعات من مقلتيها حين آتت بسيرة تلك الليلة البائسة..

زفر جوهان أنفاسه بضيق ثم بقوة جذبها إلى أحضانه ليبعد تلك الذكرى التي تجلد كلاهما.. فـ وجد نفسه يهتف منهيًا الحوار:

-من أجل راحتكِ فقط سأفعل ما تريدين.

حاوطت عنقه بذراعيه تضمه إليها أكثر وهمست عند أذنيه بصوتها الرقيق الممتزج بحشرجة خفيفة:

-أحُبك جوهان.

كعادته همس لها بعنف عاطفي:

-وأنا أعشقكِ.

وبعد لحظات من الصمت، همس بمكر محبب لها:

-هل سأحصل على مقابل؟

ابتسمت من بين دموعها وتمتمت بشقاوة:

-هل ستستقبلني الليلة في جناحك؟

رد لها الإبتسامة بواحدة أروع شملت وجهه الأسمر الوسيم

-أنا في استقبالكِ بأي وقت.

-سأخبر ماري لتنام في جناحي الليلة.

همستها بمشاكسة قبل أن يسألها جوهان بقلق:

-هل أنتِ واثقة بماري لهذه الدرجة؟

أومأت بإيجاب وطمأنته بجوابها:

-ك نفسي جوهان.

-ملكة لورين.. ملكة لورين.

أفاقت من كل ذكرياتها على صوت ماري التي تنادي عليها منذ فترة دون أن تشعر:

-نعم ماري.

همست بشرود لتهتف ماري بخبث:

-بماذا كنتِ شاردة لهذه الدرجة؟

رفعت حاجبها بحركة مسرحية وكأنها تقول:

"ألا تعرفين؟"

فأكملت ماري بسعادة:

-أنا سعيدة من أجلكما جدًا.

صدى هذه السعادة وجد صداه لدى لورين وبمرات مضاعفة حتى ظهرت على وجهها الجميل المحيا:

-أنا أحبه كثيرًا يا ماري.

منحتها ماري غمزة شقية:

-وهو غارق بعشقكِ حتى النخاع.

الخاتمة

بعد ثلاث ساعات

كانت تتهادي فى رواق باب الكنيسة بفستانها الأبيض الملكي الطويل جدًا، ووراءها يسيرن وصيفاتها ويلقون عليها بتلات الورود بنعومة ورقة..رفعت وجهها لتجد من يملك القلب وختمه واقفًا منتظرًا إياها بلهفة شديدة لتصل إليه ويعلن الكاهن إتحادهما إلى الأبد ..

كزوج وزوجة

وملك وملكة

حين وصلت أمسك يدها بحزم رقيق، ومنحها نظرة طويلة دافئة كدفء مشاعره الجياشة نحوها التي لا تقل أو تنضب.

وقفا أمام الكاهن بسعادة جمة لتتم مراسم الزفاف

****

في سكون الليل.. على ضوء القمر، وقفا كلاهما فى شرفة جناحهما الذي دخلا إليه بعلانية هذه المرة لا خفية كالمرات السابقة..

الآن أصبحت زوجته أمام الجميع، ما عاد هناك سببًا يمنعه من بثها عشقه على مرأي الكل

لمعة أمواجها الهادرة مقابل ليل عينيه اللامح

والشفاة تهمس معًا والقلب يؤكد الهمس

-أحبك للأبد.

وقد كان ميثاقًا أبديًا بينهما.. سيسعى كلاهما للإلتزام به طالما هناك نفسًا بالجسد.

تمت بحمد الله

31/12/2016